

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Université ZIANE ACHOUR De Djelfa

جامعة زيان عاشور - الجلفة

Faculté : Lettres et Langues

كلية الآداب واللغات

et SC. Sociales et Humaines

و العلوم الاجتماعية والإنسانية

Département : Sciences Humaine

قسم العلوم الإنسانية



محاضرات مقياس

أوروبا وأمريكا

(1789 - 1914 م)

السنة الثالثة تاريخ - السداسي الثاني



برنامج مقياس : أوروبا وأمريكا (السداسي الثاني)

مدخل

1- الثورة الأمريكية 1775 – 1783

أسبابها :

1. السياسة البريطانية في مستعمراتها الأمريكية

2. قانون الملاحة والمالية

3. أحداث بوسطن

مراحل الثورة الأمريكية

1. المرحلة الأولى 1773 / 1775

2. المرحلة الثانية 1775 – 1776

3. مرحلة التوسع

2 – الثورة الفرنسية

فرنسا خلال القرن 18 م (أوضاعها)

أسباب ودوافع الثورة

1. النظام الملكي

2. نظام الطبقات : (الأشراف – الأكليروس رجال الدين – العامة

3. الأوضاع المالية والاقتصادية

تطور الثورة

سقوط الباستيل ، إلغاء الامتيازات ، و فرار الملك

النوادي (نادي الكوفدال - نادي اليعاقبة - نادي الجيرونيين)

دستور 1791

3- المؤتمرات

- مؤتمر فيينا 1815 - مؤتمر اكس لا شاييل 1818 - مؤتمر تروباو 1820 - مؤتمر بيرونا 1822

4 - الوحدة الألمانية

ألمانيا ما قبل القرن 19 م

غزو نابليون لألمانيا

ميلاد الوعي القومي الألماني

جهود بروسيا في نشأة الوحدة

سياسة بسمارك في الوحدة

الثلاثاء (استثناء) لاستكمال الوحدة

1. الحرب مع الدنمارك 1864

2. الحرب مع النمسا 1866

3. الحرب مع فرنسا 1870

إتمام الوحدة

5 - الوحدة القومية الإيطالية

أوضاع إيطاليا قبل الوحدة

ظهور الوعي القومي الإيطالي

حركات الوحدة

1. حركة الاتحاديين في الولايات البابوية

2. حركة الجمهوريين

3. حركة التحرير و الوحدة البيدمونتية

أعمال كافور في الوحدة

الحرب مع النمسا ، حركة غاريبالدي وإتمام الوحدة

قائمة المراجع - مقياس أوروبا وأمريكا

- عبد العزيز سليمان ، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث
محمد محمود النيرب ، المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية ج1 ، 1877 م
شوقي عطا الله الجمل و عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب
الباردة
جلال يحي ، التاريخ الأوربي الحديث و المعاصر ، حتى الحرب العالمية الأولى
عمر عبد العزيز ، دراسات في التاريخ الأوربي و الأمريكي الحديث
عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر 1815 - 1919

مدخل :

كان تطور الاستعمار البريطاني في العالم الجديد يحمل في ثناياه الحكم الذاتي أو انفصال المستعمرات عن الوطن يوما ما ، وذلك لأن التكوين الاجتماعي للمستوطنين و البناء الاقتصادي كان أوربيا انجليزيا ، أي بمعنى آخر كان يحمل مفاهيم الحكم الإدارة و البرلمان و الفكرة القائلة بحق الشعب في أن يتولى حكم نفسه بنفسه ، و كان الجيل الجديد يتطلع إلى تشكل شخصية سياسية مستقلة .

الثورة الأمريكية 1775 – 1783 م

هي الثورة التي قامت ضد بريطانيا و أدت إلى ميلاد دولة جديدة باسم الولايات المتحدة ، كانت الثورة أو الحرب الثورية ، قد اندلعت بين بريطانيا و الولايات الثلاث عشرة الممتدة على الساحل الأطلنطي في أمريكا الشمالية .

بدأت الحرب في 19 أبريل 1775 م عندما اصطدم البريطانيون بالثوار الأمريكيين في مدينتي لكسنجتون و كونكورد في ماساشوسيتس ، و استمرت ثماني سنوات و انتهت في 3 سبتمبر 1783 م ، عند توقيع معاهدة باريس بين بريطانيا و الولايات المتحدة التي اعترفت فليها بريطانيا باستقلال الولايات المتحدة

أسبابها :

- السياسة البريطانية في مستعمراتها الأمريكية :تقوم سياسة بريطانيا على حق الملك في تعيين حكام الولايات ، مع عدم تعارض سياستهم مع مصالح بريطانيا ، و في ظل وجود مجالس نيابية منتخبة تقرر سياسة الولايات و التي تعتبر رمزا للحكم الذاتي منحت للسكان الجدد حق المطالبة بمساواتهم بالإنجليز في الوجود الأم ، مما أزعج الإنجليز الذين هم مجرد رعايا عليهم واجبات الدفاع عن مصالح بريطانيا و دعمها ماليا من خلال ما يفرض عليهم من ضرائب مما تسبب في تقلص نفوذ المجالس النيابية و ممارسة السكان الحكم الذاتي .

- قانون الملاحة و المالية : تدخل بريطانيا من خلال الملك جورج بفرض سياسة مالية تجاوزت بها صلاحيات المجالس النيابية و تمثلت في :

1. إصدار المرسوم الملكي الذي يحرم على المستوطنين شراء الأراضي في المقاطعات الجديدة

2. إصدار قرار فرض الضرائب على صادرات المستعمرات من السكر

3. إصدار قرار فرض ضريبة الدمغة على السلع و الوثائق و الصحف

و قد طالب المستوطنون بإلغاء جميع الضرائب رافعين شعار (لا ضرائب بدون تمثيل) فاستجاب الحكومة البريطانية بإلغاء قانون الدمغة و الإبقاء على ضريبة الشاي مرتفعة .

- أحداث بوسطن : في عام 1773م أصدر رئيس الوزراء الأنجليزي اللورد نورث ، قانون يمنح شركة الهند الشرقية حق احتكار بيع الشاي في بوسطن ، حيث اعتدى بعض المستوطنين ، الهنود الحمر و القوا بحملات السفن الأنجليزية من الشاي في الميناء ، فأغلق ميناء بوسطن و أعلنت الأحكام العرفية في ماساشوستس .

مراحل الثورة الأمريكية :

- المرحلة الأولى 1773 – 1775 : و عرفت هذه المرحلة التطورات التالية :

1. بداية الاشتباكات المسلحة بين سكان المستعمرات و حكومة بريطانيا
2. دعوة مجلس ماساشوستس لعقد مؤتمر نيويورك 1765 ، و تم الاتفاق فيه على مقاطعة الواردات البريطانية و التحالف في حالة اعتداء بريطاني
3. عقد مؤتمر فيلادلفيا الأول في 05 سبتمبر 1774 تحت رئاسة جورج واشنطن ضم الولايات الثلاث عشر ، و الذي وضع احدى مؤسسات الدولة الأمريكية إلا أن بريطانيا واجهت قرارات المؤتمر بالرفض و ضاعفت تهديدها للولايات الأمريكية .
4. عقد مؤتمر فيلادلفيا الثاني في 10 ماي 1775 و الذي اصرت فيه الولايات الأمريكية على التمسك بمطالبها و عدم الامتثال للتهديدات البريطانية .

- المرحلة الثانية 1775 – 1776 : و عرفت هذه المرحلة التطورات التالية :

1. انتشار الثورة في جميع الولايات الأمريكية ، تحت قيادة جورج واشنطن الذي اصدر إعلان الاستقلال في 4 جويلية 1776 .
2. نجاح قوات الولايات المتحدة في تحقيق انتصارات ، أبرزها معركة ساراتوغا 17 أكتوبر 1777 .

3. وقوف فرنسا إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية في دعمها بالمعدات والرجال و المال ، كما تدخلت كل من اسبانيا وهولندا لنصرة الشعب الأمريكي

4. تعاطف الرأي العام الأوربي مع الثورة الأمريكية

5. توالي هزائم الأنجليز في معارك عديدة أهمها معركة يورك تاون في 19 اكتوبر 1781 .

6. لجوء بريطانيا إلى التفاوض و الصلح لإنهاء الحرب الذي تم توقيعه في 03 سبتمبر 1783

نتائج الثورة :

ترتب عن هذه الثورة مجموعة من النتائج ملخصها فيما يلي :

- استقلال الولايات المتحدة عن بريطانيا و إقرارها لدستور فدرالي 1787 .
- قيام الثورات في أوروبا منها الثورة الفرنسية
- زيادة اتساع مساحة الولايات المتحدة
- زوال الاحتكار البريطاني في الولايات الأمريكية
- ساعدت الثورة الأمريكية بعض القوى الأوربية لاسترجاع مستعمراتها من بريطانيا في جزر الأنتيل و البحر المتوسط
- نمو الفكر الانفصالي في المستعمرات الأوربية داخل القارة الأمريكية بعد رفع شعار أمريكا للأمريكيين سنة 1823

مرحلة التوسع :

بعد انتهاء الحرب الأهلية اشترت الولايات المتحدة أسكا و جزر ألوشيان من روسيا ، ثم توسعت في الجزر الباسيفيكية على حساب اسبانيا ، جزرها ولاند و بيكر عام 1857 و ميدواني عام 1859 و هاواي و فينكس في نهاية القرن التاسع عشر ، وانتزعت الفلبين من اسبانيا و استعمرتها عام 1899 إلى أن منحها الاستقلال عام 1946 .

و في بداية القرن العشرين بدأت تتوسع في منطقة الكاريبي فاحتلت بورتوريكو و بنما التي شقت فيها قناة بنما الواصلة بين المحيطين الأطلسي و الهادي و التي تعد من أهم النقاط الاستراتيجية في تركيبها كقوة عالمية .

بدأت الولايات المتحدة باقتصاد زراعي وبمجتمع ريفي مخلخل ، وظلت طوال القرن التاسع عشر دولة زراعية تصدر الخامات الزراعية وتستورد المصنوعات ، وتمثل حضارة ريفية غير مدنية (الكاوبوي) ، ولكنها تحولت بسرعة إلى أعظم وأغنى دولة صناعية و اضخم قوة حضارية حديثة تقود العالم في كل مجالات الإنتاج ، وتحتكر الأولوية والصدارة ، وتضاعف عدد سكانها خلال قرن ونصف أكثر من خمسين ضعفا .

لقد بدأت الولايات المتحدة الأمريكية من حيث انتهت أوروبا ، فأخذت عنها نقاط قوتها وتخلصت من نقاط ضعفها ونشأت مع الآلة البخارية والقطار متجاوزة مرحلة الإقطاع ، ولم تعاني من المنافسة والحروب في القارة الأمريكية ، فجميع دول القارة تقريبا ، إما أنها امتداد جغرافي وبشري مثل كندا أو تابع مستكين يدور في فلكها تمثل مزرعة ومناجم وحدائق خلفية لها .

الثورة الفرنسية

أوضاع فرنسا خلال القرن 18 م :

شهدت أوروبا خلال القرن 15 ظروفًا سياسية استمرت عقودًا طويلة ، فشهدت الولايات الإيطالية حروبًا داخلية ، كذلك الدويلات الألمانية ، فضلا عن الصراع الديني الطويل الذي عمّر أرجاء أوروبا ، وكانت فرنسا تشكل الثقل السياسي والعسكري الأوروبي نظرا لموقعها وقوة جيشها ، ودفاعها وتشدها عن المذهب الكاثوليكي ، فلقد حاولت منذ فرنسوا الأول أن تجد موضع قدم لها خارج أوروبا ، فاتخذت من الامتيازات الدينية ذريعة لتجد مكانا لها في ساحة الدولة العثمانية المترامية ، بل هي قاطرة الحركة الاستعمارية ، وعلى نحوها سارت كل من اسبانيا والبرتغال وبريطانيا وإمبراطورية النمسا والمجر وروسيا القيصرية .

ولما هبت رياح الثورة اعتبرت أكبر حدث تاريخي منذ سقوط القسطنطينية ، فكانت هذه الثورة إيذانا بعهد جديد أزاح الملكيات الأوربية وأعاد ترتيب النظم السياسية في أوروبا ، بل شملت حتى النظم الاجتماعية والاقتصادية ، واعتبرت هذه الثورة مركز تغيير تجاوز حدود فرنسا ، ووصلت مطالب تلك الثورة إلى حيث اشتكى الناس ، فالثورة الفرنسية جاءت لتزيل كل ما كان من عهد الإقطاع ومن طغيان طبقة النبلاء ومن امتيازات وسلطات واسعة تمارسها طبقة رجال الدين ، دون مبرر إنساني ، كما جاءت بهدف تحرير الحياة السياسية من طغيان الملكية ، وتمسكها بسلطات زعمت حصولها عليها من رب العالمين ، والواقع أن ثورة 1789 قامت في فرنسا إلا أنها شرحت علل أوروبا بأكملها وحتى الحلول التي أوجدتها صلحت لبلدان كثيرة ، وصارت هذه الثورة مدرسة للعالم المتمدن خلال القرنين 19 و 20 م .

أسباب ودوافع الثورة :

إن تداخل أحداث الثورة الفرنسية و زخم الترسبات من عهد الإقطاع والإصلاح الديني جعلت من الصعوبة بما كان أن نحدد بشكل قاطع كل الأسباب ، إلا أنه يمكننا من خلال قراءة الوضع العام في فرنسا أن نقف عليها و نحددها وفق الأسباب التالية :

1 - النظام الملكي :

أواخر القرن 18م كانت الملكية الفرنسية ما تزال تسيير وفق ما عمل به لويس الرابع عشر من نظريات الحكم المطلق الاستبدادي ، لذلك عمل ملوك فرنسا على تطبيق أعراف الملكية ، بل كان الاستبداد حقا من الحقوق المسلم بها ، فيضع ما يشاء من القوانين ، ويفرض ما يشاء في المحاكم ويستبدون بحقوق العامة ، ويأخذون أموالهم ويصادرون تجارتهم ، بغير وجه حق .

و مما زاد في صعوبة الملكية عشية الثورة أن الملك لويس السادس عشر كان ضعيفا مترددا مستهترا ، تتحكم في قراراته الملكة وبعض أعوانه المقربين منه ، مما جعل الملكية الفرنسية وخاصة هذا الملك غير قادر على مواجهة ثورات الداخل ومجابهة آراء المثقفين والمطالبين بالإصلاح ، وفي فترات لاحقة سنرى أن بعض أعوانه انقلبوا عليه .

2 - نظام الطبقات :

لعل أكثر ما يؤذي مشاعر الفرنسيين خلال تلك الفترة ويثير فيهم الذل و التهميش والاحتقار هو تمسك النظام الملكي بنظام الطبقات الموروثة من العصور الوسطى ، والذي يجعل الفرنسيين درجات تختلف في المراتب والحقوق ، ويمكننا أن نميز في سلم الرتب الاجتماعية الفئات التالية :

○ طبقة الأشراف : ورثوا عن أسلافهم امتيازات منذ العصور الوسطى فكانوا يملكون جل أراضي فرنسا الزراعية وكانوا يستأثرون بالمناصب العليا في الجيش والإدارة و يحافظون على حقهم بالإعفاء من الضرائب ، وتلك الحقوق توارثوها وحافظوا عليها بحرص ، و مع مرور الوقت أصبحت الامتيازات تؤرق عموم الناس .

○ الإكليروس : وهم رجال الدين الذين شكلوا طبقة لها نفوذ قوي ، حافظت على امتيازاتها التقليدية منذ العصور الوسطى ، وأصبحوا يملكون ثروة مادية عظيمة ، فكانت الأديرة والرهبانيات المنتشرة في أرجاء فرنسا تملك مساحات شاسعة من أجود الأراضي تشكل خمس (5/1) مساحة فرنسا يعمل فيها آلاف الفلاحين في ظروف قاسية ، لكنها بعيدة عما أوصى به اليسوع (عيسى ابن مريم عليه السلام) ، زيادة عن موارد الكنيسة من عائدات الضرائب التي كانت

تجبي من المواطنين وقد وصل مردودها عشية الثورة إلى حدود 200 مليون فرنك ذهبي ، كما أن الإكليروس مثل الأشراف معفون من الضرائب .

○ طبقة العامة: تضم سواد الفلاحين ومعظم البسطاء ، وهؤلاء هم من يتحملون عبء الضرائب ، وهم من يشتغلون في مزارع النبلاء ، وهم من يكونون وقود الحروب والمعارك ، وببساطة فهم يلتزمون بواجبات كبيرة تقابلها حقوق ضئيلة ، فالقانون الفرنسي لم يعترف لهم بحقوقهم في الحريات ولا يسمح لهم بالمشاركة في الحياة السياسية ، ولا يسمح لهم بمصاهرة طبقة النبلاء ، والواقع أن هذه الطبقة بدأت تنشأ حينما تتحرر بعض ... أواخر العصور الوسطى ، وبدأ بعضهم في ممارسة التجارة والحرف والصناعات ، ومما ساعدهم في نجاحهم ترفع أبناء النبلاء عن ممارسة هذه الأعمال ، ثم إن اكتشاف أمريكا واتساع آفاق التجارة الخارجية فتح أمام الكثيرين منهم سبل الغنى والثروة ، ومن أبناء هؤلاء أيضا من تفرغ للعلم والثقافة وكثر من بينهم الأطباء والأساتذة والمحامون والأدباء ، ولم يمضي وقت طويل حتى صارت هذه الفئات المثقفة راغبة في مزاحمة أبناء النبلاء على المراكز الكبيرة في الدولة ، وكان منهم كتاب وعلماء وفلاسفة ، وقد ساهمت هذه الطبقة أيضا في تعديل برامج التعليم وتنوير الرأي العام ، بالامتيازات التي يمتلكها النبلاء والإكليروس وهو ما سيثير عموم الناس لاحقا . لذلك صرح أحد النبلاء قائلا : " إن الثورة الفرنسية كانت ثورة ضد امتيازات النبلاء والإكليروس أكثر مما هي خروج عن سلطان النظام الملكي " .

3 - الأوضاع المالية والاقتصادية :

كانت فرنسا تشكو عجزا ماليا كبيرا في خزانها ، تعود جذورها إلى الملك لويس الرابع عشر ، وازدادت الأزمة وتفاقما بسبب ما تحملته الخزينة الفرنسية من أعباء الحرب الأمريكية ، لأن فرنسا وقفت إلى جانب الأمريكيين ضد الانجليز ، إضافة إلى استنزاف البلاد ومصاريف النبلاء وامتيازاتهم ، ويكفي للوقوف على الوضعية المالية لفرنسا قبيل الثورة 1788 أن نعرف حسابات الخزينة الفرنسية ، فلقد كانت المصاريف تقدر بـ 629 مليون فرنك بينما واردات الخزينة لا تتجاوز 503 مليون فرنك ، أي بعجز يقدر بـ 126 مليون فرنك ، ولعل نقطة ضعف هذه البلاد هي الطريقة الفاسدة في توزيع تلك المصاريف ، فقد بالغ القصر في زيادة المصاريف فضلا عن حظوة أصحاب الامتيازات .

هذه الوضعية السيئة دفعت الملك لمحاولة إجراء إصلاحات على الوضع المالي خاصة في السنوات التي سبقت الثورة ، منها محاولات الوزير تيرغو والوزير نيكر إلا أن مساعيها خابت أما استحالة تحصيل الضرائب من الأشراف ورجال الدين بسبب نفوذهم ، بينما أصحاب الطبقة

الثالثة يدفعون الضرائب ، وهو ما ولد لديهم تدمر كبير من الوضع فرنسا ، كما أن السياسية الضرائبية فشلت لأنها عجزت عن التحصيل ، كما أن الدولة احتكرت بعض السلع فانعكس ذلك على عرقلة التجارة و شلت بعض القطاعات ، رافق هذا تدهورا في الوضع الاقتصادي العام حيث ارتفعت الأسعار في السنوات الأخيرة التي تسبق الثورة بنسبة 65 % ، بينما الأجور لم ترتفع إلا بنسبة 22 % ، فضلا عن تراجع المنتج الزراعي ، وتناقص مردود القمح ، فعم القحط أنحاء فرنسا و حينما جاء ربيع عام 1789 أصبح رغيف الخبز عزيزا و ارتفع سعره و لم يعد الكثير في متناولهم . وكانت المعاهدة الاقتصادية مع بريطانيا قد زادت في حدة الأزمة مما سمح للأثرياء بتصدير القمح للانجليز سعيا وراء الربح الوفير رغم حاجة الفرنسيين لقمحهم ، لذلك طالب الرأي العام بإلغاء تلك المعاهدة مع بريطانيا فانتشرت المجاعة و عمت الفاقة و أصبح الخبز شيئا نادرا و عم الاستياء المدن و الأرياف ، فتلبدت سماء فرنسا بغيوم الثورة .

تطور الثورة :

إن الأزمة الاقتصادية التي اجتاحت فرنسا لم تكن إلا تذكيرا للمسؤولين في باريس أن عليهم أن يجدوا حلا جذريا لفرنسا ، و ما محاولة تيرغو بإصلاح الوضع المالي إلا دلالة على أن حكام فرنسا استشعروا الخطر القادم كما أن محاولة الإصلاح المتأخرة التي أقدم عليها كالون المعروف بصلاته بالملك و البلاط الديني .. فرنسا يكمن في إصلاح أوضاعها المالية و إصلاح أوضاعها المالية لا يكون إلا بجعل الفرنسيين يتساوون كلهم في تحمل مصاريف الدولة بغض النظر عن مراتبهم الاجتماعية ، و قد عقد مجلس أعيان يضم النبلاء و الإكليروس عرض فيه اقتراحاته ، و وضع أمامهم ديون الخزينة المقدرة بـ 4 مليارات ، و أنه لا سبيل لحل هذه المعضلة إلا بفرض ضريبة جديدة يدفعها جميع الفرنسيين ، هذه التقرير المقترح من كالون أثار ضجة كبيرة و أصبح محل سخرية أحيانا و في النهاية رفضوا اقتراحاته و طالبوا بإقالته 1787 و في سنة 1788 دعي الوزير نيكر ليتسلم وزارة المالية ، و كانت ساعتها الأزمة قد استفحلت و انتشرت المجاعة و عم البؤس و كان عليه أن يسرع لإنقاذ فرنسا بتدابير مهما كانت الطرق و الأساليب ، و كان الوزير عالما بداء فرنسا ، فسارع بإبلاغ الملك أن فرنسا تقف على حافة الإفلاس ، و أن الوضع إذا ما استمر هكذا فإنه سيقود إلى الانفجار ، و اقترح نيكر أن تعرض هذه المشكلة على كل الأمة الفرنسية بأن يعقد مجلس الطبقات ، فالخزينة أصبحت بحاجة ماسة للمال ، فأصبح الملك مجبرا على قبول الاقتراح فعهد لوزيره بوضع قانون انتخابي جديد جرت من خلاله انتخابات عامة في أرجاء المملكة ، فكانت هذه الانتخابات مناسبة رفع الناس من خلالها مطالبهم فاجتمعت مطالب الفرنسيين على النقاط التالية :

- صيانة الحريات العامة و منع التعدي عليها.

- القضاء على امتيازات الإقطاعية و مساواة الجميع أمام القانون

- إصلاح القضاء

- توزيع أعباء الضرائب على جميع المواطنين بالتساوي بغض النظر عن طبقتهم

الواضح من هذه المطالب أنها مطالب معتدلة لا تحمل في طياتها عداً للنظام الملكي أو رغبة في تغيير النظام السياسي ، بل إن هذه المطالب تترجم تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الفرنسي ، بل إن الشعب الفرنسي من خلال هذه المطالب لا يزال يحافظ على ولائه للملكية وعلى حبه للملك .

عقد مجلس الطبقات في 5 ماي 1789 ضم أكثر من 1200 عضو في اجتماعه الأول ، و وقع خلاف حول طريقة التصويت ، فاعترض زعماء الطبقة الثرية على هذه الطريقة و أصروا على أخذ الأصوات بالاقتراع الفردي و ليس على أساس الطبقات ، و كانوا يهدفون من وراء ذلك للحصول على أغلبية في المجلس ذلك أنهم يعرفون أن عددا لا بأس به من مندوبي النبلاء و الإكليروس كانوا ميالين للتعامل مع الطبقة الثرية ، فأدرك الملك أبعاد هذا الاقتراع فرفضه و تمسك بالتقاليد القديمة .

تمسك الملك و مناصروه من النبلاء و الإكليروس بضرورة المحافظة على التقليد الأول لإبقاء امتيازاتهم في المجلس ، و اعتبر ممثلوا الطبقة الثالثة قضية التصويت على أساس أن لكل نائب صوت هي المدخل الحقيقي للإصلاح ، كما أن المطالب التي رفعها الشعب الفرنسي لم تلقى اهتماما من الملك و الحكومة ، و هذا يعني أن الملكية الفرنسية أرادت حل المشكلة المالية فقط ، فأصر ممثل الطبقة الثرية على أخذ زمام المبادرة من السلطة و السير في تحقيق المطالب مهما كانت العقبات .

أمام تصلب الملك في موقفه تقدم أحد الرهبان (سيياس) و هو من أنصار المبادئ الحرة باقتراح يتضمن عقد اجتماع مندوبي الطبقات الثلاث في مجلس تشريعي يدعى الجمعية الوطنية ، و قد قبل هذا الاقتراح و بدأ المندوبون يستعدون لوضع دستور جديد فأدرك الملك أن هذه الخطوة المقترحة قد تهدد سلطة الملك ، فأمر بإخلاء القاعة من الحضور ، لكن لم يتفرق مندوبو الطبقة الثالثة و مؤيدوهم و انتقلوا من القاعة إلى ملعب للتنس حيث تعهدوا على مواصلة الاجتماع إلى غاية إعطاء البلاد دستورا ديمقراطيا و يعرف اتفاقهم هذا "قسم ملعب التنس" ، و بهذا تحول مجلس الطبقات إلى جمعية تشريعية تعمل على وضع دستور لفائدة فرنسا .

لم يكن الملك راضيا عما جرى لذلك دعا المجلس إلى اجتماع في 23 جوان 1789 عرض فيه المندوبون خططهم الإصلاحية ، و أبلغوا أن طريقة التصويت المعتمدة ستبقى القديمة و هنا عاود الخلاف و انسحب الملك من الاجتماع و تبعه أنصاره من النبلاء و الإكليروس و بقي مندوبو الطبقة الثالثة و حلفائهم في أماكنهم مما جعل أحد موظفي البلاط يأمرهم بإخلاء القاعة .

هذا الموقف جعل أحد الحاضرين يدعى (مرابو) يرد بعبارة شهيرة " نحن هنا بإرادة الشعب ولا نخرج إلا على رؤوس الحرب"، أيده الجميع وبدأ أول انشقاق رسمي علي خلال الثورة الفرنسية، وأمام إصرارهم على البقاء تراجع الملك عن طلبه، و طلب من النبلاء والاكليروس العودة إلى مقاعدهم في الجمعية، غير أن الملك وحكومته استشعروا الخطر وبأن الوضع في باريس قد ينفجر في أي لحظة. استدعت الحكومة فرقا من الجيش إلى قصر فرساي واتخذت تدابير مشددة لصيانة النظام العام وكانت آخر ورقة تخلت عن الملك هو انسحاب الوزير نيكر الذي استبدله الملك بأحد أعوانه وزادت الأحوال سوءا وتآزما.

سقوط الباستيل¹:

كانت تداير الملك في باريس لها وقع سيء لدى أوساط الناس بعد زيادة الشائعات والمؤامرات خاصة بعد أن اتضح للشعب الفرنسي أن ماري أنطوانيت² هي القوة النافذة في فرنسا (زوجة الملك لويس 16)، مما جعل الشعب الفرنسي يستهجن ضعف شخصية الملك، ومما سمح المجال أيضا لأفراد عائلة الملك الآخرين للتدخل في شؤون السياسة على غرار شقيق الملك الدوق داتو.

¹ حادثة اقتحام سجن الباستيل وقعت في باريس في الرابع عشر من تموز عام 1789 وكان السجن والحصن الذي يعود تاريخه إلى العصور الوسطى والمعروف باسم "الباستيل" يمثل رمزًا للسلطة الحاكمة وسط باريس. وبالرغم من أنه لم يكن في السجن سوى سبعة أسرى وقت اقتحامه، إلا أن سقوطه كان بمثابة شرارة اندلاع الثورة الفرنسية، وأصبح فيما بعد رمزًا للجمهورية الفرنسية. ويُعتبر الرابع عشر من تموز، *Le quatorze juillet*، عطلة رسمية في فرنسا، ويُعرف باسم *Fête de la Fédération* أي عطلة الدولة الفيدرالية. و يُطلق عليه عادة اسم "يوم الباستيل"

² ماري أنطوانيت (1755 - 1793م). ملكة فرنسا التي أعدمتم بالمقصلة خلال الثورة الفرنسية، وُلدت ماري بفيينا بالنمسا، وكانت الابنة الصغرى والمفضلة للإمبراطور فرانسيس الأول وماريا تيريزا حاكمي الإمبراطورية الرومانية المقدسة.

كانت الملكة الصغيرة جميلة وذكية ومنهورة، وقد ملَّت الشكليات الرسمية لحياة البلاط، لذا اتجهت إلى الترويج عن نفسها بالملذات، مثل: الحفلات الفاخرة والتمثيلات المسرحية وسباق الخيول والمقامرة. كان ينقص ماري التعليم الجيد، ولم تكن تعطي الأمور الجادة إلا القليل من الاهتمام، ولم تتردد في عزل وزراء فرنسا القادرين الذين هددت جهودهم لخفض النفقات الملكية ملذاتها، وقد أعطاه الملك لويس السادس عشر قصر بتي تريانون، حيث كانت الملكة وأصدقائها يقومون بالترويج عن أنفسهم. أصبحت ماري مكروهة جدًا، وقد تم تأنيبها على فساد البلاط الفرنسي، حيث كانت تسرف في إغداق الأموال على محاسيب البلاط، ولم تعط أي اهتمام للأزمة المالية بفرنسا. وقد رويت القصص الكاذبة والسيئة عنها، إلى حد أن أثيرت الشائعات على أنها كانت جاسوسة لحساب النمسا. ومن هذه القصص قصة توضح أنماط المتعاطفين الذين التقوا حولها. يقال: إنها سألت ذات مرة مسؤولاً رسميًا عن سبب غضب الباريسيين، فكانت إجابته: ليس لديهم خبز، فكان ردها، إذن دعهم يأكلون كعكًا.

لم يلبث أن انتقل الصراع الدائر في قمة السلطة إلى عموم الناس و أصبحت شوارع باريس عرضة للمظاهرات حيث شارك فيها العاطلون على العمل و العاجزون عن شراء القمح ، و أصبحت الشوارع مسرحا للخطباء و المهيجين و حتى الصحافة ساهمت في تعبئة الشارع و انتشرت الفوضى و سفكت بعض الدماء ، هذه الوضعية جعلت الملك يستعين بالمرتزقة الألمان بمعية أفراد الجيش قصد البطش بالشارع الفرنسي ، مما خلق جوا من عدم الثقة بل العداة للعرش و الملك ، فأقدمت بلدية باريس خلال هذه الفوضى بالسماح للمواطنين بأن يتسلحوا و يشكلوا مجموعات تساعد على حفظ النظام ، فسعت الناس بكل الطرق للحصول على الأسلحة ، فنهبت مخازن و متاجر السلاح و اندفع الناس نحو حصن الباستيل و حاصروه ، و يعتبر هذا الحصن من أقدم الحصون الباريسية و يعتبر رمزا للمساجين السياسيين و رسمت هالة من الأساطير حوله لكونه يعتبر رمزا للمظالم و الجرائم و أصبح في نظر الفرنسيين رمزا للطغيان و العبودية .

كان ذلك في 14 جويلية 1789 ، استعمل قائد الحصن ديلوني الحكمة مع هؤلاء ، إلا أن المهاجمين تسلقوا الجدران و سيطروا على مرافقه و قتل المهاجمون حرسا كثيرين ، و حملوا رؤوس حراس الحصن و طافوا بهم شوارع باريس معلنين انتصار الجماهير على رمز الاستعباد . لقد أثرت هذه الأحداث على الوضع العام و أصبح النظام في باريس مفقودا و تراجعت كل السلطات أمام الثورة و انتشرت حركات التمرد في المدن و الأرياف ، و أصبحت مكاتب الضرائب و الدوائر الرسمية و ماله علاقة بامتيازات الأشراف هدفا للتخريب ، و لم يكن الأمر في باريس وحدها بل انتقل انتقلت الأحداث إلى مدن أخرى ، و زاد الوضع تعقيدا الشائعات و التي تزعم أن النبلاء و الأشراف يشكلون عصابات للقضاء على الفلاحين و إحراق بيوتهم .

خلال هذه الأحداث برز في باريس أحد أشهر أبطال الحرب الأهلية الأمريكية المدعو لافاييت ، و هو أحد أبناء طبقة النبلاء آمن بالحرية و الديمقراطية و وضع نفسه في خدمة استقلال أمريكا و جعله الأمريكيون أحد أبطالهم و بعد عودته إلى باريس دافع في مجلس الطبقات على حقوق الطبقة العاملة (الثالثة) و عندما عمت الفوضى شوارع باريس و خافت البرجوازية على ممتلكاتها و تجارتها ، تشكل في باريس جهاز جديد يدعى " الحرس الأهلي " ³ ، أسدت رئاسته إلى لافاييت ، تشكل من 50 ألف فرد . لقد تقبل البلاط و النبلاء على اختلافهم هذا التعيين بالارتياح لكون لافاييت رجل له سمعة و مكانة لدى مختلف الطبقات ، و شكل في الكثير من المرات جسرا بين الملك و مطالب الأمة ، كما سعى إلى نشر دستور يضمن

³ شكلت الطبقة الوسطى الحرس الوطني ، وكان يرتدي قبعات عليها أشرطة بثلاث ألوان: الأزرق والأبيض والأحمر. وهذه الألوان هي نتيجة دمج أشرطة بلدية باريس الحمراء والزرقاء مع أشرطة الملك البيضاء. وأصبحت هذه الأشرطة وألوانها الثلاثة رمزا لفرنسا نفسها فيما بعد .

للشعب حرياته و يبقى للعرش سلطاته ، و بهذا أصبح الحرس الأهلي بزعامته لافاييت الضامن لاستقرار باريس و ضواحيها و قدم خدمات جليلة للثورة .

إلغاء الامتيازات :

وقف الملك و حاشيته عاجزين عن رأب الصدع ، و لما تعقدت الأمور ، و جزم الملك بخروجها عن نطاقه و أصبحت بأيدي عوام باريس ، قرر تقديم مجموعة من التنازلات ، فأبعد الملك بعضا من وزرائه و أرجع العلم المثلث الألوان الذي رفعته الثورة ، و أرجع جاك نيكر إلى منصبه و أصبح نيكر شخصا محبوبا لدى الفرنسيين لجرأته و نزاهته ، لقد فعل الملك ذلك مرغما و قرر التضحية ببعض ما اعتبر حقوقا تاريخية لعرشه و الموالين له ، مقابل صيانة ما تبقى من هذا العرش ، إلا أن هذا الموقف من الملك الذي يعتبر معتدلا جاء متأخرا ، فشعر الجميع بأنه لا بد من القيام بإصلاحات جذرية لتهدئة الأحوال في الشارع و إرضاء الفلاحين الثائرين لذلك اجتمعت الجمعية الوطنية في 4 أوت 1789 للبحث عن وسائل كفيلة بإعادة النظام و القانون إلى شوارع فرنسا ، و أثناء الاجتماع أعلن أحد كبار النبلاء الفيكونت دي نواي أن السبب الحقيقي لما يحدث في فرنسا هو ضرورة إلغاء الامتيازات الإقطاعية قصد عودة الأمن إلى فرنسا ، و تم تأييد مطلبه من طرف عدد كبير من النبلاء و الإكليروس ، و أقرت بعد ذلك الجمعية الوطنية القوانين التالية :

- إلغاء حقوق النبلاء الإقطاعية و ما يتبعها من امتيازات

- إلغاء الضرائب المفروضة على المطاحن و الأفران .

- إلغاء امتيازات المقاطعات و الجمعيات الحرفية و التجارية

- إصلاح القضاء و مساواة الجميع أمامه

- إعلان المساواة بين المواطنين في الحصول على الوظائف العامة

لاقت هذه القرارات استحسانا كبيرا لدى الفرنسيين و خاصة الفلاحين .

و في 26 أوت أصدرت الجمعية الملكية حددت حقوق الإنسان و المواطنين على الدولة و الأمة و أهم ما جاء فيها هو :

- الناس يولدون أحرارا و يظلون أحرارا متساوين في الحقوق .

- على الحكومات ضمان و حماية الحقوق الطبيعية للإنسان (الحرية ، الملكية ، حماية الأرواح ، و حق رد المظالم)

- لا يسجن أحد أو يؤمر بحجزه إلا بأمر قضائي

- لكل أمة الحق في مشاركة أبنائها في وضع القوانين و تقرير الضرائب .

يعتبر هذا الإعلان بمثابة ميلاد عهد جديد ، حيث شارك في صياغة هذا البيان عابرة الفكر الفرنسي أمثال جون جاك روسو ، و مونتيسكيو ، و تعتبر هذه الوثيقة مقدمة لانجاز دستور فرنسا .

و في 2 نوفمبر 1789 و بناء على اقتراح من الراهب تاليران ، أقرت الجمعية الوطنية مصادرة ممتلكات الكنيسة التي قدرت آنذاك بملياري ليرة رغم معارضة الإكليروس لهذا الاقتراح ، و الواقع أن الدافع الرئيسي وراء إصدار هذا التشريع كان الرغبة في الحصول على المال لحل الأزمة المالية الخانقة في فرنسا ، كما أصدرت الجمعية الوطنية في جوان 1790 دستورا مدنيا ينظم حياة الإكليروس و بموجب هذا الدستور صار تعيين الأساقفة من حق الشعب و ليس من حق الملك أو البابا و بالتالي صاروا ينتخبون من الشعب و يأخذون أجورهم من الدولة ، لكن الكثير من رجال الدين رفضوا .. و تآزمت العلاقات مع البابوية ، و بذلك ابتعدت العناصر المتدينة عن الثورة خاصة بعد أن اصدر قداسة البابا قرار الحرمان في حق كل من يقبل بهذا الدستور و كان أول من تأثر بهذا القرار البابوي الملك لويس السادس عشر لأنه كان متدينا و شكل هذا القرار بالنسبة له زلزالا كبيرا فقرر البحث عن المخرج له .

فرار الملك ⁴ :

نتيجة هذه الظروف و الأحداث التي شهدتها فرنسا حاول الملك أن يفر مع عائلته ، و قبلها فتح اتصالات سرية مع ملوك أوروبا نتيجة تطرف الثورة ، حيث أصبحت الأمور بأيدي المتطرفين لذلك حاول تنظيم عملية هروب العائلة المالكة خارج فرنسا .

خرج الملك و عائلته سرا في عربة مقفلة من باريس إلى الحدود البلجيكية في 21 جوان 1791 ، إلا أن أمرهم اكتشف في صبيحة اليوم الموالي و أعيدوا إلى العاصمة باريس ، و وضع الملك رهن

⁴ أفنعت ماري أنطوانيت أخيراً لويس بالفرار من باريس في 20 يونيو 1791م ، و قد خرجت العائلة الملكية متكررة في عربة متجهة للحدود الشرقية لفرنسا، ولكن أحد الوطنيين المتيقظين تعرف على الملك من صورته المطبوعة على العملة الورقية ، وتم إيقاف الملك و الملكة في فاران و أعيدا تحت الحراسة إلى باريس . و أدى هروب لويس و ماري إلى زيادة فقدان ثقة الشعب بهما، ولكن لويس وعد بأن يقبل دستوراً جديداً أدى إلى الحد من سلطاته ، كانت ماري تعمل للحصول على المساعدة من الخارج ، وحينما بدأت الحرب مع النمسا وروسيا في عام 1792م، أفشت أسراراً عسكرية إلى الأعداء. وارتاب الشعب و أيقن أنها مذنبه بسبب تلك الخيانة. و في 10 أغسطس 1792م زج الشعب بحكامه في السجن، حيث أوقف الملك عن تولي أمور ملكه، و بذلك انتهت الملكية. و قد أعدم لويس السادس عشر بالمقصلة في 21 يناير 1793م ، و قدمت ماري أنطوانيت، بعد معاناة مريرة و قاسية تحملتها بكل صبر و شجاعة، إلى المحاكمة بتهمة الخيانة و أعدمت بالمقصلة .

الإقامة الجبرية، هذا التصرف يجعله يشعر أن النظام السياسي بات هشاً، وبقيت الأمور وشؤون الحكم تسير من طرف الجمعية الوطنية التي حاولت أن تعيد الملك إلى عرشه مع تقييد سلطته لتجنب أزمة خلو العرش، فأصدرت الجمعية قراراً بإبقائه، لكن لم يقبل المتطرفون هذا التصرف وأرادوا إزاحة الملك من السلطة، فنظموا مظاهرات وهاجموا أعضاء الجمعية الوطنية، ولإسكات غضب الجماهير أصدرت الجمعية قراراً بوقف الملك عن ممارسة سلطاته إلى غاية وضع دستور جديد.

هذا التصرف الحكيم اسكت الشارع مؤقتاً وأوقف انفجار الوضع السياسي، ولعب المهاجرون دوراً في إطلاق الدعاية ضد الثورة، أملين في جر ملوك أوروبا للتدخل العسكري في فرنسا، وبالموازاة أرسل لويس السادس عشر مندوبين بصورة سرية إلى عروش أوروبا طلباً للمساعدة، حتى أنه اقترح على العرش البريطاني التنازل عن جزء من المستعمرات الفرنسية مقابل المساعدة، لم تعطي هذه المساعي أي نتيجة، إلا أن وضعيتهم الملك في حد ذاته أثارت حفيظة ملوك أوروبا، فاجتمع في 21 أوت 1791 إمبراطور النمسا وملك بروسيا وأصدرا بلاغاً أعلنوا فيه أنه من واجب ملوك أوروبا تعزيز سلطة الملك الفرنسي، اشتهر هذا الإعلان "إعلان بلانتز"⁵، هذا الإعلان أضعف موقف لويس السادس عشر وجعله في إحراج وأصبحت تلوكه الألسن من طرف أنصار الثورة.

النوادي :

من أبرز ما ميز العمل في فترة الثورة ظهور عدد من النوادي تردد عليها زعماء الثورة وبعض المفكرين، وقد لعبت دوراً في تطور أحداث الثورة، وكانت تشبه إلى حد ما منطديات سياسية، أبرز هذه الأندية:

نادي الكوفدال : يوجد مقره في دير آباء الكونسيكان، يمثل هذا النادي الطبقة الدنيا، طالب أصحابه بإحلال نظام ديمقراطي، وتعزيز العدالة الاجتماعية ورفع أجور العمال.

نادي اليعاقبة : اسمه الحقيقي جمعية أصدقاء الدستور، نسب هذا النادي إلى دير الآباء اليعاقبة (يؤمنون بالتثلية لكن لا يتلفظون به)، كان لهم موقف معتدل وطلبوا بالمحافظة على ما حققته الثورة، مع الحفاظ على النظام الملكي الدستوري، كان في هذا النادي صحيفة مشهورة "صدى الغال" "presse de gall"، أصبح لهذا النادي نفوساً كبيرة وشيئاً فشيئاً بدأ هذا النادي يميل إلى المواقف المتطرفة

⁵ إعلان بلانتز : هو اتفاق مشترك بين إمبراطور النمسا وملك بروسيا للحرب ضد الثورة الفرنسية لإنقاذ الملكية.

نادي الجيرونديين : ينسب إلى رجال البرجوازية ، طالب أصحابه بحماية الملكية الفردي والحريات التجارية ، ولكن نتيجة تطرف الثورة ابتعد الجيرونيين عنهم ، وسعوا من وراء هذا النادي الحفاظ على مصالحه المهددة

شكلت هذه النوادي تجمعات في أشخاص جمعت بينهم وحدة المصالح والتفكير وتحولت النوادي إلى ما يشبه أحزاب

دستور 1791

اجتهدت الجمعية الوطنية في إثراء مقررات الدستور بتحقيق مطلب الثورة وهو إعطاء فرنسا دستورا ديمقراطيا يكفل الحريات ويوزع السلطة ، أقر فعلا هذا الدستور في 3 سبتمبر 1791 ، ووضع موضع التنفيذ ، ووقعه الملك لويس السادس عشر ، وأقسم على احترامه ، ولعل أبرز ما فيه إعطاء الفرنسيين كل الحريات مع التأكيد على الديمقراطية ، فضلا على أن الأمة هي المصدر الأساسي للسلطة ، تمارس بواسطة الهيئات المنتخبة .

لقد صار الملك بموجب هذا الدستور في خدمة الفرنسيين ، ليس سيدهم ، كما أكد على فصل السلطات ، وتبنى هذا الدستور جميع مبادئ حقوق الإنسان .

نص هذا الدستور على تأسيس الجمعية التشريعية التي تضم 745 مندوب ، لقد شكل محتوى هذا الدستور هلعاً لدى ملوك ورؤساء أوروبا ، لأنه يتضمن مبادئ حولت الملك من سيد إلى خادم للشعب بل قلص من صلاحياته .

نصبت حكومات عديدة في فرنسا حملت أسماء وأوصافاً أشهرها حكومة عهد الإرهاب و حكومة الإدارة ، ثم تم تجديد هذا الدستور الذي تحول إلى دستور 1795 ثم تولى بعد ذلك الإمبراطور بوناپرت الحكم في فرنسا ابتداء من 1795 و ضرب بيد من حديد مسترجعاً كل السلطات بقبضة يده و عاد نابليون بفرنسا إلى ما قبل الثورة نتيجة لتعسفه و بطشه و حول فرنسا إلى سجن كبير ، هذه الشخصية العسكرية القوية في فرنسا جعلت الشعب يندم على أيام الملكية الأولى .

بعدها أحكم نابليون قبضته على فرنسا قاد حملة إلى احتلال إيطاليا وأخضع الدولة البابوية في 1796 ، نتيجة هذه القوة أجبرت النمسا أن تعقد مع تحالفا ، فأخذ نابليون بلجيكا و ضمها إلى فرنسا مقابل أن تأخذ النمسا البندقية ، وأحدث هلعاً في أوروبا ، فبدأ ملوك أوروبا يخافون من طموحه في أن يضم أراضي جديدة لسلطته .

لم يكتفي بوناپرت باحتلال الولايات البابوية ، بل أراد أن يوسع إمبراطوريته إلى خارج أوروبا ، فقرر احتلال مصر فبعث بجيشه إلى الإسكندرية في 1798 ، واحتل الأراضي المصرية وأجزاء من بلاد الشام ، وكان يهدف من وراء ذلك إلى قطع الطريق أمام الطموحات الانجليزية ، احتل

القاهرة و العريش و وضع يده على منافذ البحر الأحمر ، تسارعت الأحداث بنابليون ، و توسع طموحه ، فجعل كل ملوك أوروبا تتحالف ضده ، و بقيت فرنسا تعيش أوضاعا داخلية متردية نتيجة قلة فرص العمل و الميزانية الكبيرة التي خصصت لجيش فرنسا خارج أوروبا ، هكذا تحولت فرنسا من دولة مسالمة تدافع عن مبادئ إعلان حقوق الإنسان إلى دولة تزرع الرعب في عهد بوناپرت و في عهد حكومة القنصلية .

المؤتمرات

لقد أثرت أوضاع فرنسا على باقي الدول الأوروبية فخرجت أفكار الثورة الفرنسية خارج الحدود ، و أصبحت الشعوب الأوروبية ترى في أفكار الحرية و العدالة و حقوق الإنسان أفكارا جديدة بالتبني ، لذلك أصبحت الأنظمة السياسية الأوروبية التي يغلب عليها النظام الملكي مهددة بالسقوط و الزوال ، لذلك خاف ملوك أوروبا من أن صيب بلدانهم ما أصاب فرنسا ، و لما أصبحت هذه الأفكار تشكل خطرا على الأنظمة الأوروبية سارعت تلك الدول إلى تشكيل حلف مناهضة هذه الأفكار ، بل إن أوضاع فرنسا حينما تغيرت و عاد الخوف و الإرهاب إلى الفرنسيين بعد وصول نابليون بوناپرت إلى الحكم أصبحت فرنسا في نظر أوروبا مصدرا للقلق و الإزعاج ، فلا الأفكار الداعية للحرية أعجبت ملوك فرنسا و لا طموحات نابليون التوسعية أعجبتهم ، بل أصبحت فرنسا مصدر الخطر لملوك أوروبا و تشكل حلف ضم الكثير من الدول الأوروبية للقضاء على طموحات نابليون ، و بعد أن تجمعت دول أوروبا و قضت على هيمنة بوناپرت أرادت أن تخلق جوا من الوحدة من خلال ما اصطلح على تسميته بمعاهدات التفاهم أو المؤتمرات ، و من بين أهم تلك المؤتمرات :⁶

⁶ فكرة المؤتمرات لم تنشأ إلا في تاريخ أوروبا الحديث ، فهي مرتبطة بالمجتمعات المنقسمة إلى وحدات سياسية مستقلة عن بعضها و متساوية في نظر القانون ، حينئذ يمكن أن يجتمع ممثلوها على قدم المساواة في مؤتمر لبحث المسائل التي تمسها . و هناك بعض الحقائق عن هذه المؤتمرات لفت إليه النظر على وجه الخصوص المؤرخ وبستر Webster في كتابه الذي خصه لمؤتمر فيينا ، قال : " إن الناس لديهم صورة غير صحيحة عن تلك المؤتمرات الكبيرة بما فيها مؤتمر فيينا ، فهم يتوهمون أن مندوبي الدول يجتمعون اجتماعات منظمة متوالية و تعرض مسائل البحث و الخلاف و تناقش و يدلي كل فريق بحجته و تؤخذ القرارات نتيجة البحث ، و يغلب رأي الأغلبية " و قال " إن هذا مجرد وهم فالمؤتمرات لا تجتمع بكامل هيئتها إلا في أول المؤتمر و في نهايته .. و لا يجتمع المؤتمر بكامل هيئته إلا عند إقرار النتائج و يكون الرأي فيها لبعض الدول التي لها نفوذ و أهمية فقط بحكم أنها منتصرة في الحرب التي سبقت عقد المؤتمر ، أو بحكم أهميتها السياسية و الحربية ، فالدول التي من هذا النوع بواسطة مندوبيها تعمل كل شيء ، فإذا وصلت إلى نتيجة يجمعون كل المندوبين الصغار و الكبار للتوقيع على ما اتفق عليه " . أنظر : شوقي الجمل ، عبد الله عبد الرازق ، تاريخ أوروبا ، ص 158

مؤتمر فيينا 09 جوان 1815 :

اجتمعت الدول الكبرى بروسيا انجلترا و النمسا في اجتماعات سرية وهمشت فرنسا من حضور هذا الاجتماع ، لكن تراجعت تلك الدول وقبلوا حضور فرنسا⁷ وكان من بين قراراته :

- القضاء على الأنظمة الثورية في أوروبا

- السعي إلى تقوية العروش الملكية وإعادة أصحابها إلى سلطتهم .

- العمل على إضعاف فرنسا سياسيا وعسكريا

اعتبر هذا المؤتمر نتيجة غير مباشرة للثورة الفرنسية وللحروب المروعة التي شهدتها أوروبا . إن مؤتمر فيينا حاول إعادة رسم الخارطة الأوروبية بأن نزع الكثير من الأراضي التي أخذتها فرنسا وأعادها إلى الدول الأصلية .

كما سعى هذا المؤتمر إلى تحقيق مبدأ التوازن الدولي (محاولة جعل الدول في نفس المستوى) ، إن الدول المشاركة في هذا المؤتمر أتت أن أمن أوروبا يقتضي تشجيع القوميات والابتعاد عن الصراعات الحدودية .

وقد اعتبر مؤتمر فيينا أكبر مؤتمر شهدته أوروبا في الفترة الحديثة ، كما نظم حدود الملاحية البحرية التي ما فتئت تشكل سببا رئيسيا في إحداث التوترات بين الدول الأوروبية .

ومن الأشياء التي دافع عنها مؤتمر فيينا هو إلغاء ما يعرف بتجارة الرق التي اعتبرت انتهاكا صارخا للإنسانية وحقوقها ، كما أعاد السيطرة في بعض المناطق وجعلها تحت النفوذ الإيطالي مثل مملكة نابولي وسردينيا واسترجاع إقليم سكسونيا إلى بروسيا ، وبذلك تم رسم الحدود الأوروبية ومجالات نفوذ تلك الدول .

⁷ بعض المؤرخين - الفرنسيين بالذات - و على رأسهم ألبرت سوريل Albert Sorel يقولون إن تاليران (و هو ممثل فرنسا في مؤتمر فيينا) ، لم ينتصر في فتح الأبواب التي كانت موصدة فحسب بل نجح في أن يكون له صوت في تسوية 1815 لا يقل عن صوت أي دولة أخرى .. فقد كان محكوما عليه بالألا يدخل المؤتمر ، لكنه لم يتغلب على العزلة المفروضة على فرنسا فحسب بل شارك مشاركة فعلية في تسوية شؤون أوروبا في عام 1815 . و قد يكون هذا صحيحا لكن ليس إلى الحد الذي يدعيه سوريل . و الحقيقة أن تاليران نجح في تحطيم الحاجز المفروض على فرنسا و يرجع ذلك إلى : مواهبه الشخصية العظيمة ، و شخصيته الجذابة و كذا الخطة التي رسمها لفرنسا في فيينا حيث لم ينصب نفسه مدافعا عن فرنسا بالذات بل مدافعا عن القانون الدولي و السلام الأوروبي و وجوب وضع العلاقات الدولية على أسس ثابتة من المعاهدات ، و كان لهذا تأثيره في صورة فرنسا المعتدية و المنهزمة من أدهان المجتمعين في فيينا . أنظر : المرجع السابق ص 163 ، 164

لم يكن مؤتمر فيينا كافياً بكل مقرراته بأن يعيد لأوروبا هدوئها واستقرارها ، فقد عقدت مؤتمرات أخرى لا تقل أهمية عن فيينا و من تلك المؤتمرات :

مؤتمر اكس لا شابيل : سبتمبر 1818

عقد هذا المؤتمر للنظر فيما تبقى من موضوع فرنسا ، حيث طالبت فرنسا بجلاء قوات الحلفاء عن أراضيها ، وقد حضرته كل من النمسا ، روسيا ، بروسيا ، إنجلترا وفرنسا

مؤتمر تريباو : جوان 1820

عقد لدراسة الثورة العسكرية الاسبانية ، ذلك أن ملوك أوروبا راودتهم مخاوف انفلات الأوضاع في أوروبا ، وانتقال عدوى الثورة من اسبانيا إلى الدول الأوروبية الأخرى ، وكان أكثر المتحمسين له قيصر روسيا .

مؤتمر ليباخ⁸ : 1821

تأجل مؤتمر تريباو دون الوصول إلى قرار بشأن بعض القضايا العالقة في أوروبا أبرزها المسألة الإيطالية ، اجتمع المؤتمر في يناير 1821 و حضره بالإضافة إلى الدول الكبرى ملك نابولي ، تواصلت اشغاله متقطعة إلى غاية 12 مارس 1821 ، قرر هذا المؤتمر إلغاء دستور نابولي ، وكلفت النمسا بتنفيذ هذا الإلغاء بالقوة العسكرية ، تزامن هذا المؤتمر مع حدوث ثورة في اليونان ضد الحكم العثماني .

مؤتمر فيرونا⁹ : 1822

عقد منتصف اكتوبر 1821 ، حضره إمبراطور النمسا وقيصر روسيا و ملوك بروسيا و سردينيا و نابولي ، وبعض السياسيين على رأسهم مترنيخ و مثل فرنسا وزير خارجيتها و إنجلترا شقيق كاسلار اللورد ستيوارت .

عالج هذا المؤتمر مسألتى اسبانيا و إيطاليا و استغرقت المسألة الاسبانية معظم وقت المندوبين ، وتركت المسألة الإيطالية دون حل حاسم .

⁸ ليباخ : مدينة بيجوسلافيا عقد فيها مؤتمر ليباخ لدول التحالف الرباعي، وفيه ظهر الخلاف واضحاً بين بريطانيا و حليفاتها السابقين: فرنسا، وروسيا، والنمسا. وافق المؤتمر على قمع الفتنة التي اندلعت في نابولي 1820 على أيدي قوات النمسا .

⁹ مؤتمر فيرونا هو لقاء عقد في فيرونا بإيطاليا سنة 1822، آخر المؤتمرات الأوروبية التي انعقدت بمقتضى أحكام التحالف الرباعي. 1814. درس المؤتمر الثورة التي نشبت بإسبانيا، وقرر إرسال جيش فرنسي لقمعها.

الوحدة الألمانية

ألمانيا قبل القرن 19 م

اعتبر ملوك الإمارات الألمانية أكثر الملوك ضعفا إلى درجة أنهم أصبحوا عاجزين عن الدفاع عن البلاد و حمايتها من مختلف الغزوات الأوربية .

إن أحفاد شارلمان عجزوا عن الدفاع عن الحدود الألمانية ، و وصل بهم الضعف و الهوان أن اقتطعوا أجزاء من أراضيهم و يمنحونها للبرابرة النورمانديين مقابل الدفاع عنهم وقت الحاجة ، فتشتت ألمانيا و ظهر بها زهاء 400 دولة و إمارة مستقلة ، لكل إمارة علم و حكومة و جيش ، يسودها الفرقة و الحروب ، رغم أنها تشترك في وحدة الجنس و اللغة و الثقافة و التاريخ ، و كانت إمارة بروسيا أكبر الإمارات الألمانية و أهمها ، و سيقدر لها لاحقا أن تحمل لواء الوحدة و تسير بألمانيا لتصبح أكبر قوة أوربية

غزو نابليون لألمانيا :

نتيجة ضعف الإمارات الألمانية ، سمحت لحاكم فرنسا أن يرى فيها نفوذه ، فغزا نابليون ألمانيا عام 1805 ، و قضى على الإمبراطورية الرومانية المقدسة التي أنشأها شارلمان، و أدمج معظم ولاياتها المتفرقة حتى لم يبق منها سوى تسع و ثلاثين إمارة، و كون ((اتحاد الراين)) من الولايات الشمالية الغربية ليقف في وجه النمسا، و بروسيا، و زوده بحكومة صالحة لتسهر على مصالح الشعب، و ترك الولايات الألمانية مزيدا من الحرية في شؤونها الداخلية، و احتفظ لنفسه بالسيطرة على علاقاتها الخارجية، و اهتم بتقوية جيوشها لتقف معه في حروبه الأوربية. و قد قرر ساسة أوربا في مؤتمر فيينا إنشاء اتحاد ألماني صوري من الإمارات التي تضمها الإمبراطورية المقدسة قبل إلغائها .

و من أهم ما نص عليه دستور الإتحاد:

1. يتألف هذا الإتحاد من تسع و ثلاثين إمارة، بما فيها النمسا، ولا يجوز حله.
2. يتشكل لهذا الإتحاد مجلس، يعرف باسم ((الدايت)): يكون مقره مدينة فرانكفورت، و يتألف من مجلس أعلى من سبعة عشر عضوا، و مجلس أدنى يتكون من تسعة و ستين عضوا، بعضهم يمثلون بصفة جماعية بعض الولايات المهمة كالنمسا، و بروسيا، و بافاريا.
3. ترأس النمسا هذا الإتحاد، وله الحق في دراسة الأمور العامة الألمانية، و وضع القوانين، و لا تنفذ تعليماته إلا إذا صدرت بأغلبية الثلثين.

4. يكون لحكومة هذا الإتحاد سفراء في الخارج، و يحق لها إعلان الحرب و السلم، وإبرام المعاهدات، وهي المسئولة عن الدفاع عن ألمانيا.

5. يمكن إعلان الحرب بين الإمارات التي هي أعضاء في الإتحاد.

ظهور الوعي القومي الألماني :

لقد كان لسيطرة نابليون على ألمانيا، وقرارات مؤتمر فيينا فيما يخصها، بعد سقوطه، تأثير كبير على مجريات الأحداث والأوضاع في مستقبل ألمانيا. ومن أجل كل ذلك قاوم الألمان بزعامة بروسيا، سيطرة نابليون على بلادهم، و استماتوا في المقاومة حتى هزموه و خردوا النفوذ الفرنسي من بلادهم، وبرزت بينهم رغبة ملحّة لإقامة حكومة ألمانية موحدة، و تصدى مجموعة من المصلحين، و الكتاب و الشعراء، و المفكرين، و الفلاسفة، للدفاع عن تلك الرغبة و الأمنية، أمثال: فون شتاين، و يوحنا هردن، و كانط، و فيخته، دعوا كلهم إلى ضرورة توحيد ألمانيا، و عارضوا سيطرة نابليون على بلادهم. و بعد مؤتمر فيينا، قام الشباب الألمان، و خلاب الجامعات بتأسيس جمعيات و نواد رياضية و أدبية، للدفاع عن الوحدة، و اغتنموا ذكرى مرور ثلاثمائة عام على حركة لوثر الدينية الإصلاحية، و ذكرى هزيمة نابليون في معركة الأمم عام 1813م فأقاموا مهرجانات و احتفالات و تظاهرات عام 1817م، أبرزوا فيها رغبتهم في تحقيق وحدة ألمانيا القومية، و قاموا بقتل بعض الخونة لها. فاعتنم مترنيخ هذه الحوادث و فرض الرقابة على الصحافة و المطبوعات، و منع انتقاد الحكومة، و عين ضباط في الجامعات لمراقبة نشاط الطلاب و الشباب، و منع إعادة الطلبة، و الأساتذة المفصولين إليها، و اعتقد مترنيخ أنه بهذه الإجراءات الصارمة سيضع حدا لنمو الوعي القومي في ألمانيا، و نشاط شبابها، لكن النتيجة جاءت عكس ذلك، إذ تحولت هذه المنظمات إلى هيئات و جمعيات سرية مارست نشاطها في الخفاء، و جذبت إليها قلوب الأحرار الألمان .

جهود بروسيا في نشأة الوحدة :

تعتبر بروسيا أهم الإمارات الألمانية من حيث السكان و المساحة و القوة ، و في الأصل هي إمارة صغيرة تتمثل في دوقية برادنبور، التي حكمتها أسرة هوهنزولورن، ثم تحولت عام 1701 إلى مملكة و برز فيها مصلحون عملوا على تقويتها ، مثل فريدريك و لهلم الأول ، و فريدريك و لهلم الثاني ، اشترك في محاربة نابليون مع الحلفاء سنة 1813 ، و بعد مؤتمر فيينا و سعت حدودها إلى نهر الراين و أصبحت مسؤولة عن الدفاع عن حدود ألمانيا الغربية ، اهتمت بروسيا بالإصلاحات الإدارية و الاقتصادية و العسكرية فعملت على :

- إنشاء جيش مسلح و منظم و مدرب و أنشئت المصانع الحربية

- أصدرت مرسوم 9 أكتوبر 1807 لتحرير الألقان وتوزيع الثروات عليهم ، فاستفادت 30 ألف عائلة من هذا القانون ، واعتبر ثورة في عالم الزراعة .

- فرضت الحكومة إجبارية التعليم ونشره بين جميع أفراد الشعب وأسست المدارس والمعاهد .

- أنشأت نظام الزولفرين الجمركي ، حيث استعانت بروسيا بمجموعة من الخبراء الاقتصاديين قصد توحيد نظامها الضريبي والجمركي ، و أصدره هؤلاء الخبراء عام 1918 نظام يدعى الزولفرين يحتوي على ما يلي :

- وضع تعريفية جمركية بسيطة على الآلات والمصنوعات ، وتعريفية جمركية عالية على البضائع المستوردة من الخارج خاصة الكمالية منها .
- اعتبا المناطق الجمركية في بروسيا منطقة جمركية واحدة .
- إعفاء المواد الأولية المستوردة إليها من الرسوم الجمركية .

أدى نجاح هذا النظام الجمركي إلى إسراع الولايات الألمانية الانخراط فيه ، وكان ذلك خطوة أولى لتحقيق الوحدة السياسية وكسبت من وراء ذلك بروسيا الزعامة الاقتصادية ، التي ستتحول إلى زعامة سياسية وعسكرية .

سياسة بسمارك¹⁰ في الوحدة :

¹⁰ بسمارك، أوتوفون (1815 م - 1898 م) رجل دولة بروسي، وحد الولايات الألمانية في إمبراطورية واحدة . نشأته: ولد بسمارك في الأول من إبريل في شونهاوزن، في مقاطعة ماجدبورج. درس القانون، ومارس المحاماة سنة 1835م. أصبح يهتم بشؤون الأبرشية، بعد أن خدم في الجيش، وكان قد انتخب للدائت (البرلمان) البروسي سنة 1847م. أعد بسمارك خططا لمستقبل الإمبراطورية الألمانية خلال دورته ممثلاً لبروسيا في المجلس التشريعي الألماني في فرانكفورت من 1851م إلى 1859م. مثل بلاده في روسيا أولاً وبعدها في فرنسا. استدعي إلى بروسيا في 1862م، ليصبح رئيساً للوزراء ووزيراً للشؤون الخارجية. حروب بسمارك. خاض بسمارك ثلاث حروب لتوحيد الولايات الألمانية . توج ملك بروسيا ولهم الأول إمبراطوراً على ألمانيا بعد أن دحرت بروسيا نابليون الثالث. أصبح بسمارك مستشاراً للرايخ الثاني للإمبراطورية الألمانية الجديدة. وكان يدعى المستشار الحديدي.

دبلوماسية بسمارك. بُني نجاح بسمارك في تحقيق الوحدة الألمانية والسيادة الوطنية، على القسوة والسياسة العسكرية الصارمة والحكمة السياسية الاستثنائية، وبراعة التنفيذ، والمهارة الدبلوماسية الصلدة. كرّس بسمارك عبقريته في عقد المعاهدات التي تحصّن وضع ألمانيا في أوروبا.

عقد الحلف الثلاثي مع النمسا وهنغاريا (المجر) وإيطاليا والذي استمر حتى الحرب العالمية الأولى. رأى أن وضع ألمانيا في أوروبا يمكن أن يتعرض للخطر، فعقد اتفاقية مع روسيا تضمنت حياد ألمانيا في حالة أي هجوم على روسيا. عدّ بسمارك السلام مع روسيا حجر الزاوية في سياسته، لأنه يمنع ألمانيا من خوض حرب على جبهتين.

إثر ثورات 1848 في أوروبا ، اشتد حماس الألمان في بروسيا من أجل تحقيق الوحدة ، فاجتمع في مدينة فرانكفورت جماعة من الأحرار الألمان ، ووضعوا مسودة دستور اتحاد جديد ، وقرروا جعل السلطة التشريعية في يد مجلسين قصد المحاسبة والمراقبة ، يضم الأول الحكومات ، والثاني ممثلي الشعب الألماني .

وفي مارس من نفس السنة قررت جمعية الأحرار الألمان انتخاب فريدريك وليام الرابع ملك بروسيا إمبراطورا على ألمانيا ورئيسا للحكومة الاتحادية ، ولكن فريدريك رفض التاج خوفا من بطش النمسا وبعض الأمراء الألمان المعارضين ، وبقيت الأوضاع هكذا حتى وفاته ، فخلفه وليام الأول الذي كان يكن لها كرها صريحا ، فصمم على مناهضتها ولو باستخدام القوة ضدها ، فاستعان برئيس وزرائه بسمارك الذي قاد ألمانيا نحو الوحدة .

ولدت هذه الشخصية عام 1815 ، تعلم في جامعة برلين ، اشتغل موظفا في الحكومة ، ثم انتخب عضوا في الولاية (المجلس) ثم عضو في برلمان برلين .

وشغل منصب مندوب الملك في مجلس الدايت ، سفيرا لبروسيا في باريس ، مكنته هذه الوظائف من اكتساب خبرة ودبلوماسية كبيرة وصمم على تحقيق وحدة ألمانيا متبعا الخطوات التالية :

- الاهتمام بالجيش وتطويره والتدريب والتسليح ، باعتباره الأداة الأساسية لتحقيق الوحدة الألمانية وهو حامي الحدود .
- إبعاد النمسا ، عن كل إشكال التدخل في الشأن الألماني ، وإجبارها بكل الطرق للتخلي عن عدائها لمساعي الوحدة .
- القضاء على التدخل الأجنبي في شؤون ألمانيا الداخلية خاصة من طرف فرنسا .
- ضرورة إتحاد كل الإمارات والدويلات تحت التاج البروسي وبزعامتها .

ومن أجل استكمال الوحدة لألمانيا خاض زعيمها ثلاث حروب مع جيرانها حول المشاكل الحدودية وقصد استرجاع بعض الأراضي الألمانية وهي :

1 - الحرب مع الدنمارك 1864 : كان السبب في هذه الحرب إثارة مشكلة دوقية شولزويج وهولشتاين الألمانيتين اللتان كانتا تحت الحكم الدنمركي منذ 1815 ، وقد أرغمت

قام ولهم الثاني ، الذي أصبح ملكاً في سنة 1888م بطرد المستشار الهرم ، لأنه كان يغار من الشهرة التي نالها بسمارك . وبعد أن تقاعد بسمارك أشرف على ممتلكاته في فريدريك زرو ، وتوفي في 30 يوليو سنة 1898م .

الدنمارك في خضم هذه الحرب التخلي عن هاتين الدوقيتين ، و أمام استمرار الحرب دخلت النمسا على الخط و حشدت جيوشها كتهديد لبسمارك من جهة ، و تخويفا للدنمارك من أن لها أفضلية في ضم إحدى الدوقيتين ، و انتهت الحرب بأن سيطرت بروسيا على شولزويج و سيطرت النمسا على هولشتاين ، و بذلك ضم بسمارك شلزويج لأراضي دولته الجديدة .

2 - الحرب مع النمسا 1866 حرب الأسابيع السبعة : كان يهدف بسمارك من وراء حروبه ضد النمسا ، هو أن يقوم بعزلها دوليا ، و من ثم القضاء على نفوذها المتغلغل داخل ألمانيا ، لكي يرغمها في النهاية على قبول وحدة ألمانيا ، فاستكمل بسمارك استعداداته العسكرية بعد صلح شلزويج ، و استمال إليه نابليون الثالث (1862 - 1871) و إمارة بيدمونت أهم مناطق إيطاليا ، و بروسيا القيصرية ، ثم دخل معها في حرب انتصر فيها انتصارا عظيما في معركة تسمى (سادو) في 02 جوان 1866 و ضم عدة مقاطعات كهانوفر و بعض أجزاء بافاريا و شلزويج ، و مدينة فرانكفورت و أرغمها على توقيع صلح (براك) في 1866 التزمت فيه بمايلي

1. حل الاتحاد الألماني السابق

2. الاعتراف بإنشاء الاتحاد الألماني بضم كل الولايات الواقعة شمال نهر مين بزعامته بروسيا

3. التنازل لإيطاليا عن مدينة البندقية .

و كان من نتيجة هذا الصلح انضمام 4 ملايين من السكان إليها و تحول ميزان القوى في وسط أوروبا لصالحها خاصة بعد أن انضمت ولايات الجنوب إلى اتحاد الزولفرين

3 - الحرب مع فرنسا 1870 :

بعد أن تغلب بسمارك على الدنمارك و النمسا ، لم تبقى عقبة في وجهه سوى فرنسا التي تتاخمه من الجنوب الغربي ، و التي لا تزال تحتل أراضي ألمانية مقاطعتي الألزاس و اللورين ، كما رأت فرنسا في طموح بسمارك خطرا يهدد قوتها ، و رأت فرنسا في النمسا أنها قوة لن تقهر ، و اعتبرت معركة سادو نكبة كبيرة عليها ، و رأت وجوب استعمال كل الوسائل لمنع اتحاد ألمانيا ، لذلك صمم بسمارك على محاربتها ، و كانت أزمة خلو العرش الأسباني سببا لإشعال فتيل الحرب و نتيجة هذه الأزمة استفزت العائلة المالكة الفرنسية ، فأعلنت فرنسا الحرب على بروسيا يوم 19 جويلية 1870 ، و هو ما كان ينتظره بسمارك ، و كان جيشه مدربا و منظما عكس الجيش الفرنسي ، و قاده بطل معركة سادو (فون مولتك) فتقدم بسرعة نحو الأراضي الفرنسية ، و ألحق هزائم بالجيش الفرنسي في موقع سيدان فاستسلم الإمبراطور نابليون و مائة ألف من جيشه يوم 2 سبتمبر ، و أدى ذلك إلى انفجار بركان الثورة الفرنسية ،

و نتيجة هذه الهزيمة أعلن النظام الجمهوري في فرنسا بعد يومين فقط من موقعة سيدان ، وأرغمت فرنسا على توقيع صلح فرانكفورت في 10 ماي نص على :

- احتلال جيش بروسيا لبعض الأراضي الفرنسية حتى تدفع الغرامة - مليون فرنك فرنسي
- أن تستولي ألمانيا على الألزاس واللورين و ميتز و ستراسبورغ
- تحمل فرنسا مسؤولية الحرب

إتمام الوحدة : بعد هذه الانتصارات الساحقة التي حققها بسمارك ضد الدنمارك والنمسا وفرنسا ، فاوض ولايات الجنوب في قضية الوحدة ، وتمت الموافقة على إنشاء الاتحاد الألماني ، وتوج الملك ولهم إمبراطورا لألمانيا مطلع عام 1871 ، بحضور ملوك و أمراء ألمانيا ، وأعلن دستور جديد ينظم شؤون الإتحاد ، وبذلك حققت ألمانيا وحدتها القومية .

باختصار الوحدة الألمانية :عرفت بروسيا تطورات اقتصادية هامة خاصة في المجال الصناعي، لكن التجزئة السياسية تحد من ذلك التطور، فأصبح هدف البرجوازية هو تحقيق الوحدة السياسية. وفي 1862 تولى بسمارك منصب الوزير الأول "المستشارية" واعتمد على قوة بروسيا العسكرية وعلى نضج الوعي القومي الألماني. وتمكن من تحقيق الوحدة الألمانية بالقضاء على الهيمنة الأجنبية حيث حارب الدانمارك وانتصر في 1864، كما انتصر على النمسا في معركة سادوا 1866 Sadowa ، وهزم فرنسا في معركة سدان 1870 sedan وسيطر على الألزاس واللورين. وعرفت سياسته بسياسة الحديد والدم. وانضمت الإمارات الألمانية الأخرى إلى الإتحاد الألماني بزعامته بروسيا، والذي أصبح يعرف بالإمبراطورية الألمانية بعد تتويج غليوم الأول إمبراطورا على ألمانيا.

الوحدة القومية الايطالية

أوضاع ايطاليا قبل الوحدة

كانت ايطاليا أواخر القرن 18 م وبداية القرن 19 م مقسمة إلى دويلات وإمارات على الشكل التالي :

- إمارة لومبارديا و البندقية تخضعان لحكم النمس المباشر .
- مملكة نابولي و صقلية خاضعتان لملك من أسرة البوربون الفرنسية¹¹
- مملكة بيدمونت وهي الوحيدة التي كان يحكمها أمير ايطالي
- الولايات البابوية في الوسط يحكمها البابا ذاته

ظهور الوعي القومي الايطالي :

نهاية القرن 18 م غزى نابليون ايطاليا 1796 فأخضع معظم ولاياتها لسلطته ، وعمل على تغيير العديد من نظمها كالإقطاع و سلطة رجال الدين الفاسدة ، فوحد الإدارة في البلاد و زود الايطاليين بحكومة تسهر على مصالحهم ، غير أن نابليون سرعان ما حكم الأمور بيد من حديد و تحول إلى مستعمر . أمام هذه الظروف شعر الايطاليون بعمق التعسف و الاستبداد ، و كان هذا سبب محفزاً لهم لبعث الروح الوطنية فيهم ، فاندفعوا نحو التنظيم و العمل على الثورة و التحرر فأنشأوا الجمعيات السرية و النوادي للنضال و الكفاح لتوحيد ايطاليا و طر الأجنبي ، و من تلك الجمعيات جمعية ايطاليا الفتاة .

حركات الوحدة

ظهرت بإيطاليا عدة محاولات و حركات سعت بأساليبها المتعددة لتحقيق وحدة الإمارات الايطالية أهمها :

1- حركة الاتحاديين في الولايات البابوية : هي حركة إصلاحية ترمي إلى توحيد ايطاليا بزعامة البابا بيوس الذي نشط ما بين 1827 - 1878 ، و سعى للتوفيق بين مبادئ الكنيسة

¹¹ أسرة بوربون Bourbon أسرة حكمت فرنسا . برز منها نحو سبعين حاكماً، منهم من حمل لقب دوق مضافاً إليه اسم المقاطعة (أو الإقطاع) وآخرون حملوا التاج الملكي في العصور الحديثة. ظهرت هذه الأسرة في أوائل القرن العاشر الميلادي، ومازال بعض فروعها باقياً إلى اليوم. حكم بعضها خارج فرنسا كما في إسبانيا وبارما والصقليتين (مملكة نابولي و صقلية معاً). وذلك عن طريق المصاهرة بين الأسر الحاكمة في أوروبا الكبير. أنظر : موسوعة المعرفة

وأحلام الايطاليين القومية ، فأطلق سراح المعتقلين و ساوى بين القساوسة و الأهالي في دفع الضرائب و وافق على إنشاء مجلس استشاري من غير رجال الدين . كان عمله هذا محفزا لبعض أمراء ايطاليا الآخرين الذين قلدوه في أعمالهم ، غير أن حركة الإصلاحيين هذه لم يكتب لها النجاح ، و أصيبت بالفشل لكونها تعمل على إبراز المشكل الحقيقي لايطاليا و هو احتلال النمسا للأراضي الايطالية .

2 - حركة الجمهوريين : هي حركة قادها مازيني (1805 - 1872) ، و يعتبر أحد رواد الحركة القومية في ايطاليا ، كان عضوا بارزا في جمعية ايطاليا الفتاة ، و اشترط من أعضائها أن يكونوا من الشباب دو الأربعين ، و حثهم على العمل و النضال و ألهم حماسهم و عمق في نفوسهم كره الأجنبي خاصة النمسا ، و كان يشجعهم على حركة التحرير و الوحدة ، و دعى إلى إنشاء نظام جمهوري بديلا للنظام الملكي الفاسد .

اعتمد في حركته على حرب العصابات لكنه أخطأ حينما تسرع في إعلان الحرب قبل أن يستكمل استعداداته ، و لهذا لم يصادفه النجاح و اضطر إلى الهجرة نحو انجلترا عدة سنوات بعدما حرك المزاعم و المشاعر و بعدما وضع عقيدة ثورية للإيطاليين ، و بعد اندلاع لهيب ثورات التي عمت الولايات الايطالية و الأراضي النمساوية ، و أعلنت البندقية محاولة الانفصال عن النمسا ، و نتيجة هذا اغتنم مازيني هذه الظروف و عاد لإيطاليا و تعاون معه الثائر غاريبالدي في روما بعد أن سيطر عليها ، و فرمها البابا و تبعته إمارات أخرى ، فأعلنت النظام الجمهوري و لكن أنصار مازيني سرعان ما انقسموا على أنفسهم و دبت الفرقة و الشقاق بين صفوفهم ، و حتى الرأي العام الايطالي انقسم على نفسه بين مؤيد لهذه الحركة و معارض نتيجة العنف و القوة التي اتبعتها أنصار هذه الحركة ، و استغلت النمسا هذا التصدع ، و أمرت جيوشها بالقضاء على هذه الحركة ، و قتل مازيني في إحدى المعارك ، و دخلت فرنسا على الخط ، و شجعت الباب السابع و الحكم الملكي الرجعي للعودة للسلطة في ايطاليا .

3 - حركة التحرير و الوحدة البيدمونتية : لم يترك فشل مازيني تأثيرا كبيرا في نفوس الايطاليين ، فلم يستكينوا للهزيمة ، و تطلعوا إلى إمارة بيدمونت و عقدوا عليها الآمال ، لتحقيق الوحدة ، و كانت كل الظروف مواتية لتصبح بيدمونت نواة الوحدة الايطالية ، فقد كانت هذه الإمارة تملك جيشا منظما قويا ، و لها دستور متحرري يقوم على مبادئ تخدم كل الايطاليين ، بل ظهرت بهذه الإمارة أيضا شخصية سياسية مهمة ، شهد لها بالمقدرة و الكفاءة و هي شخصية كافور الذي لعب دورا كبيرا في تأسيس قاعدة الوحدة .

أعمال كافور في الوحدة

نشأ كافور في بيدمونت ، و ولد بها و في سن الشباب عمل ضابط في الجيش في سلاح المدفعية ، لم تمنعه هذه المهنة من مزاولة أعمال الزراعة . كان مولعا بالسفر حيث انتقل إلى بلدان عديدة في أوروبا ، اهتم بدراسة العلوم الاقتصادية و السياسية ، أسس في بيدمونت جريدة البعث

المدافعة عن أفكاره وتقديمها للجمهور ، عين وزيراً للمالية من طرف الملك فيكتور سنة 1850 ، ثم اختاره الملك رئيساً للوزارة عام 1852 ، ومن خلال موقعه ركز كل جهوده لتحقيق وحدة إيطاليا متبعا الخطوات التالية :

- طور كافور الصناعة و الزراعة و فتح أسواقا جديدة ، و فرض الضرائب على ممتلكات الكنيسة و الأديرة ، و دعم الحياة النيابية ، و حرر القوانين من التقاليد القديمة ، و اهتم بإصلاح الطرق و مد خطوط السكك الحديدية ، و أبرم سلسلة من المعاهدات التجارية مع العديد من البلدان .
- اعتنى بالناحية العسكرية فدرّب الجيش و سلحه و نظمه و طور أساليبه و زاد في تعدادة حتى بلغ تسعين ألف جندي
- اهتم كافور بجيرانه محاولا البحث عن حلفاء يقفون إلى جانبه أوقات الحرب ، فاشترك كافور بجيوشه مع فرنسا و بريطانيا و تركيا في حرب البلقان 1854 – 1856 ضد روسيا القيصرية ، فضمن بذلك مساندة فرنسا و انجلترا له ، و أوصل صوت إيطاليا إلى كل المحافل و المؤتمرات ، و أبرزها مؤتمر باريس 1856 .
- استمال كافور حاكم فرنسا إليه ، بعدما وقف معه في مؤتمر الصلح في باريس و عقد معه اتفاقيات سرية أشهرها اتفاقية 1858/07/20 ، تقضي بأن تقف فرنسا إلى جانب إيطاليا ضد النمسا وفق الشروط التالية :

- تضم لومبارديا و البندقية إلى بيدمونت و تتكون منها مملكة إيطاليا
- إبقاء الولايات الوسطى و الجنوبية و أملاك البابا مستقلة
- يتكون اتحاد إيطالي من كل الولايات تحت زعامة البابا .
- ضم نيس إلى فرنسا و إنشاء علاقة مصاهرة بين ابن عم إمبراطور فرنسا و ابنة ملك بيدمونت .

الحرب مع النمسا :

بعد كل هذه الخطوات ، استفز كافور النمسا فطلب منها إخراج كل عناصر الجيش من الأراضي الإيطالية في ظرف ثلاثة أيام ، إثر ذلك هاجمت جيوش النمسا بيدمونت في أبريل 1859 ، و اشتعلت نيران الحرب بينهما ، و وقفت فرنسا إلى جانب بيدمونت و هزمت النمسا في عدة معارك لكن سرعاً ما تراجع فرنسا عن دعمها و أبرم صلح بينهما في زيوريخ مطلع 1859 دون رضى كافور ، و نص هذا الصلح على ما يلي :

- توحيد إيطاليا بزعامة البابا .

- تكون البندقية جزءا من إيطاليا مع بقائها خاضعة للنمسا .

- يعود الأمراء المطرودون إلى دوقيات الوسط

- تتنازل النمسا عن لومبارديا لصالح بيدمونت

لم يقبل كافور بهذا الصلح و اعتزل الوزارة ، فقامت من أجل ذلك ثورة في ولايات الوسط ورفض الشعب معاهدة زيوريط بعد إجراء استفتاء عام ، كما وافقت الدول المعنية على ذلك في 2 أفريل 1860 ، فتضاعفت بذلك مساحة بيدمونت و زاد عدد سكانها .

حركة غاريبالدي و إتمام الوحدة :

كانت الخطوة الأخيرة لاستكمال الوحدة هي ضم مملكة الصقليتين (نابولي) و بعض دوقيات الجنوب ، و لم تكن الظروف مناسبة لضمها ، فاعتزم كافور قيام حركة ثورية فيها بزعامة غاريبالدي ، و استماله كافور إليه ، و دعمه بالسلاح و المال فأسس جيشا من المتطوعين عرف (أصحاب القمصان الأحمر) ، فذهب بهم إلى صقلية موطن الثورة و ساعد الثائرين ، و سرعان ما هزم ملك نابولي ، و تمت السيطرة على الجزيرة ، ثم قطعت الإمدادات ما بين نابولي و صقلية ، و تم الاستيلاء عليها ثم هبت نجدة أخرى بزعامة ملك بيدمونت لنصرة الثائرين ، فقرر شعب الإمارة بالإجماع الانضمام إلى هذه الوحدة و بذلك انضمت آخر منطقة في جنوب إيطاليا و استكملت وحدة إيطاليا و أراضيها ، و أصبحت منذ سبتمبر 1861 تحمل اسم مملكة إيطاليا

باختصار الوحدة الإيطالية

كانت إيطاليا مقسمة إلى سبع إمارات، ثلاث منها مستقلة والباقي تحت نفوذ النمسا، إضافة إلى ممتلكات الكنيسة. وكانت مملكة البييمونت أكثر الإمارات تطورا من الناحية السياسية والاقتصادية حيث تتمتع بملكية دستورية منذ 1848 وعلى رأسها الملك فكتور إمانويل. ولعب كافور دورا هاما في تحقيق الوحدة الإيطالية حيث كان يتزعم التيار الليبرالي الملكي المنسجم مع تطلعات البرجوازية. وتمكن من توحيد إيطاليا بمساعدة غاريبالدي الذي قاد المتطوعين وحرر معظم الأراضي الجنوبية تحت سلطة ملك البييمونت إيمانويل الثاني الذي أعلن ملكا على مجموع إيطاليا سنة 1861، ماعدا الأراضي الخاضعة للكنيسة.